له فان خلقكم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا اى كى تتقوا اما
بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة
واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان
استتباع افعاله تعالى الغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هى علة غائية لها
بحيث لولاها لما اقدم عليها امما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة
لتكميل عليته للمأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل فى الوجوب وايثار
تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
للمبالغة فى ايجاب العبادة والتشديد فى الزامها لما ان التقوى قصارى امر العبادة ومنتهى
جهدها فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والالزام به اهون وان روعيت من جهة
المخاطب فلعل فى معناها الحقيقى والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم
راجين لان تنتظموا فى زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها
الثالثة التى هى التبتل الى الله تعالى عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن
مراقبته وهى اقصى غايات العبادة التى يتنافس فيها المتنافسون وملاك انتظام القدر
المشترك بين انحائه والثبات عليه تحقيقا لرتبة هذه المرتبة وما دونها من مرتبتى
التوقى عن العذاب الخالد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر فى تفسير المتقين
ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفى المفعول لما فى التقديم من فوات الاشعار
بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا فى ايجاب العبادة وفى التأخير
من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة
فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اى خلقكم
واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما
براهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث
يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء
قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم
عبادته تعالى على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية
المنصوبة فى الانفس والآفاق مما يقضى بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك
الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة
واوضح دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذى جعل لكم الارض فراشا وهو

في محل

في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح
او فى محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال مالك التزم حذف الفعل فى المنصوب
على المدح اشعارا بانه انشاء كما فى المنادى وحذف المبتدا فى المرفوع اجرى للوجهين
على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعى ان يكون مناط النهى
ما فى حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل فى ذلك
مع كونه اعظم شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب
الثانى على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تأخير ما
حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة فيتمكن لديها عند وروده عليها
فضل تمكن او لما فى المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم
الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها
متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس
من ضرورة كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها
وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان
احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس
يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء فى الاصل مصدر سمى به المبنى
بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا
عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اى انزل من جهتها او منها الى السحاب
ومن السحاب الى الارض كما روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو
كما ينبئ عنه الاظهار فى موضع الاضمار وهو على الاولين لتربية التفخيم ومن لابتداء الغاية
متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اى كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة وتقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التأخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله
ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله فاخرج به
اى بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة
على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر فى الحقيقة قدرته تعالى فانه قادر على ان يوجد جميع الاشياء
بلا مباد ولا مواد كما ابدع نفوس المبادى والاسباب لكن له عز وجل فى انشائها متقلبة فى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)